بداية تفكك تحالفات المؤسسة السياسية الغربية

قحطان السيوفي

المشهد العام للتحالفات الغربية في ظل سياسة الرئيس الأميركي دونالد ترامب تجاه أوروبا، يشير وكأنه تعهد بتفكيك الركائز السياسية الخاصة بنظام التحالف الغربي، فعلى مدى أكثر من ستة عقود، كانت الولايات المتحدة الأميركية الضامنة، والمشجعة للتكامل الأوروبي، وترامب يريد قلب السياسة رأسا على عقب ويرى في خروج بريطانيا بداية انهيار المشروع الأوروبي.

في مقال نشرته في «الوطن»، بعد وصول ترامب إلى البيت الأبيض تساءلت فيه: هل يبشر فوز ترامب بخسارة أوروبا لحارسها؟

مهما كان مسار السياسة الأميركية في عهد ترامب، فإن ثمة ضرراً كبيراً لحق بمؤسسة تحالف الأمم الغربي الذي ظهر منذ عام ١٩٤٥ ويتعذر إصلاحه، عملياً النظام العالمي الذي صممته الولايات المتحدة كان آخذا في التفكك منذ فترة وقد عملت تداعيات الأزمة المالية عام ٢٠٠٨، وخيبة الأمل في التجارة الحرة على عدم توافق الآراء حول الاقتصاد الليبرالي، وترامب مقتنع بترؤس سلطة تعمل على حل نظام التحالفات الأميركي، تاركا أوروبا العجوز ضعيفة عرضة لأخطار متعددة، ويبدو أن المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل هي آخر قائد يحاول الصمود في أوروبا، وقد عبرت عن الألم لأن ألمانيا تعتبر نفسها الوصية على النظام الدولي ما بعد الحرب، الذي يزدريه ترامب بشدة بعد ترؤسه لمؤتمر الرياض الذي حضره ملوك ورؤساء دول ومشيخات، ونجح ترامب ببيع المزيد من السلاح، وجباية تكاليف حماية الممالك والمشيخات وقد رجع مفتوناً بالهدايا الذهبية التي قدمها له آل سعود ليحط به الرحال في أوروبا في زيارته الأولى التي كان أداؤه فيها هجومياً وآثاره متفجرة.

في خطابه أمام حلف الناتو، أرسل ترامب رسالة واضحة تفيد بأن التزام أميركا للدفاع عن أوروبا لا يمكن اعتباره بعد الآن أمرا مفروغا منه، وبعدها حضر قمة مجموعة الدول الصناعية السبع الأخيرة، وكان كعادته عدوانياً؛ ووصف ألمانيا بأنها «سيئة، سيئة جدا» بحجة أن برلين تحقق فائضاً تجارياً على حساب واشنطن، وردت ميركل على ترامب بحدة، وبدت كأنها تعلن عن موت التحالف الغربي، محذرة بقولها: «الأوقات التي نعتمد فيها بشكل كبير على الآخرين انتهت إلى حد ما، نحن الأوروبيين يجب أن نأخذ فعلا مصيرنا بأيدينا، وبالطبع نحن بحاجة إلى علاقات ودية مع الولايات المتحدة ومع المملكة المتحدة ومع البلدان المجاورة الأخرى، بما في ذلك روسيا، لكن علينا القتال من أجل مستقبلنا بأنفسنا».

رئيس «مجلس العلاقات الخارجية» في الولايات المتحدة ريتشارد هاس، كتب تغريدة يقول فيها: «حين تقول ميركل إن أوروبا لا تستطيع الاعتماد على الآخرين وبحاجة إلى التعامل مع المشاكل بنفسها، فهذه بمنزلة لحظة فاصلة، وهو أمر كانت الولايات المتحدة تسعى إلى تجنبه منذ الحرب العالمية الثانية»، ولاشك أن ميركل هددت بتوسيع الصدع الخطير في تحالف المحيط الأطلسي وتحويله إلى خرق دائم، متحدثة فقط عن أمر بدهي حين تشير إلى أن ألمانيا لا يمكن أن تعتمد بعد الآن على حلفائها الأميركيين والبريطانيين، ولعل أهم المؤشرات في خطاب ميركل؛ السماح لأربعة أشهر من رئاسة ترامب بأن تثير الشك في التحالف عبر المحيط الأطلسي الذي استمر ٧٠ عاماً، واستغل ترامب تقصير معظم البلدان الأوروبية في الوفاء بتعهداتها المالية لحلف الناتو، ليؤكد عدم استدامة وضع تمثل فيه الولايات المتحدة ما يقارب ٧٥ بالمئة من الإنفاق على الدفاع في حلف الناتو.

لقد عقدت ميركل الخطأ الذي اقترفه ترامب، كما ذكرت «الفاينانشال تايمز» في ٣١ أيار الماضي، وهذا يمكن اعتباره تمهيدا لبداية تفكيك التحالف الغربي، ومع ذلك، إذا استمرت حكومة ميركل في مفاوضات «خروج بريطانيا» بروح المواجهة والمطالبة بأن تلتزم بريطانيا بمدفوعات مقدمة هائلة، فإنها تخاطر بإيجاد خصومة دائمة بين بريطانيا والاتحاد الأوروبي ويمكن أن تثير تساؤلات حول التزام بريطانيا تجاه حلف الناتو، ولاسيما أن الولايات المتحدة في حالة تراجع أيضاً عن التحالف الغربي ويبدو كأن ميركل أظهرت، صمما غير معهود نحو أصداء التاريخ، وأحد الأمور المثيرة للإعجاب فعلا عن ألمانيا الحديثة، أن هناك زعيما يمكن أن يقف ويعلن الانفصال عن بريطانيا والولايات المتحدة.

لقد أظهر الرئيس الأميركي مرارا وتكرارا عدم اهتمامه بالقيم الغربية الأساسية، من حرية الصحافة إلى منع التعذيب ودعم الديمقراطيات في جميع أنحاء العالم، وهذا ما أثار المستشارة الألمانية، التي يشير الواقع إلى أنه ليس لديها اهتمام يذكر للقتال من أجل إنقاذ التحالف الغربي.

إن الاتحاد الأوروبي اليوم بين مطرقة سياسة ترامب غير الإيجابية، والأخطار العديدة التي تهدد الاتحاد الأوروبي، كالشعبوية، والإرهاب الذي ساهم بعض أوروبا في صناعته، ونجاح إيمانويل ماكرون في انتخابات الرئاسة الفرنسية قد يكون ارتدادا معاكساً لخروج بريطانيا وفوز ترامب.

ميركل متشائمة، هناك قضية اللاجئين والإرهاب من جهة، ومتاعب ومشكلات تحيط بها، فإلى الشرق حكومتان خائفتان من ألمانيا، بولندا وهنغاريا، وفي الشرق الأبعد روسيا، وغرباً أميركا ترامب، وإلى الشمال بريطانيا، وإلى الجنوب إيطاليا واليونان اللتان تحملان ألمانيا مسؤولية المتاعب الاقتصادية التي تعانيانها.

ترامب يعبر علنا عن احتقاره لميركل في ظل مشهد الاتحاد الأوروبي هذا، ويمكن أن يبادر إلى الدخول في علاقة اقتصادية مع الصين، والشك والتشاؤم اللذين يحيطان باتفاقية الشراكة التجارية والاستثمار عبر المحيط الأطلسي بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، سيفتحان المجال لتحالفات اقتصادية جديدة.

ميركل أكدت أننا «نعيش أوقاتاً تسود فيها حال عدم اليقين في العالم، ونرى أن علينا مسؤولية في توسيع شراكتنا في مختلف المجالات ودعم نظام عالمي قائم على القانون، الصين أصبحت شريكاً إستراتيجياً، بالمقابل روسيا ستستمر حذرة بتقوبة علاقاتها واستعادة نفوذها في دول أوروبا الشرقية والوسطى هل يريد الرئيس ترامب تدمير الاتحاد الأوروبي»؟

ترامب الذي خرج من حملته الانتخابية شعبوياً مشتت الخيارات، ليس لديه حس تاريخي تجاه الحلفاء، والإشارات التي أرسلها تمثل تهديدات تتطلب أن تأخذها أوروبا بعين الاعتبار ولاشك أن مفاجأة وصول ترامب للسلطة، تعرض حلفاء أميركا في الاتحاد الأوروبي، كما قال وزير الخارجية الأميركية الأسبق هنري كيسينجر: «لإحساس مرير بانعدام الثقة واليقين في مستقبل التحالفات عبر الأطلسي بين أوروبا والولايات المتحدة» وهو ما يعتبر مؤشر ضعف للاتحاد الأوروبي.

إننا نرى مع الكثير من المحللين في أوروبا والعالم، أن الرئيس الفرنسي الأسبق الجنرال شارل ديغول كان محقا بقوله: «لا يمكن الوثوق بالأميركيين، ويجب على أوروبا تشكيل مصيرها بنفسها»، وهذا ما تؤكده سياسة ترامب تجاه أوروبا التي تشير إلى أن واشنطن بصدد خسارة حلفائها الأوروبيين وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى إنهاء مفهوم الغرب السياسي.

أعضاء في «العليا للمفاوضات» يهاجمون الدوحة.. و«الائتلاف» حائر

الوطن- وكالات

بينما ركب بعض أعضاء «الهيئة العليا للمفاوضات» المنبثقة عن مؤتمر الرياض للمعارضة موجة الخلاف السعودي القطري واصطفوا إلى جانب سيدهم السعودي، بدا على «الائتلاف» المعارض المكون الأبرز لها التوجس من أن تؤدي الإطاحة بمشيخة آل ثاني القطرية الداعمة له إلى الإطاحة به، الأمر الذي يترك مؤشرات حول شروخ مستقبلية في «العليا للمفاوضات». واعتبر عضو وفد «العليا للمفاوضات» المشاركة في محادثات جنيف خالد المحاميد، وفق ما نقل الموقع الالكتروني لقناة «روسيا اليوم»، أن «قطر مارست دوراً سلبياً» في الأزمة السورية، مؤكداً أنه «كان لديها أجندة مغايرة» لتطلعات السوريين.

وفي تأكيد على أنهم أدوات لدى السعودية وليسوا سوى بنادق بأيدي العائلة المالكة، نصب المحاميد نفسه متحدثاً باسم السوريين، ليعرب عن حقيقته وحقيقة التنظيمات المعارضة التي ينتمي إليها، بقوله: إن السوريين «ليسوا خارج هذا الصراع، بل في لب الموضوع، لأن قطر لاعب رئيسي منذ البداية، ولكن دورها كان سيئ، خاصة في الجنوب السوري». كما اعتبر المحاميد أن «قطر بأجندتها في دعم الإخوان المسلمين والفصائل التي لا تعبر عن الثورة السورية، تسببت بالكثير من الضرر لهذه الثورة»، على حد تعبيره.

وأشار عضو «العليا للمفاوضات»، إلى «الدور المجحف الذي لعبته الدوحة في اتفاق المدن الأربع والوعود التي قطعها السفير القطري إلى جنيف على نفسه وكلامه عن موافقة العليا للمفاوضات على الصفقة، وهو ما نفته الأخيرة».

وتمنى المحاميد على «الإخوة القطريين أن يراجعوا حساباتهم، وأن تستثمر الدوحة الأموال في تنمية الشباب العربي وليس في الحروب الطائفية» الأمر الذي يثير الكثير من الدهشة والاستغراب حول هذا المحاميد الذي يتحدث عن الشباب والتنمية وهو الذي ينتمي إلى معارضة باعت شباب سورية وقضت على مستقبلهم ودمرت التنمية في البلاد.

في المقابل، شدد رئيس دائرة الإعلام في «الائتلاف» المعارض الممول قطرياً، أحمد رمضان، بحسب موقع قناة «روسيا اليوم»، على «علاقات الائتلاف الجيدة مع كافة الأطراف»، مؤكداً عدم الرغبة في التعليق على الوضع الحالي، وقال بهذا الخصوص: «الموضوع قيد الدراسة ونحن لا نرغب في التعليق حالياً».

ويرى مراقبون، أن الائتلاف الذي شكل بدعم قطري تركي كامل يبدو أنه يتوجس من الأزمة التي قد تطيح به إذا ما أطاحت بداعمته الدوحة، وأنه هرب من إعلان موقفه حالياً وكأنه ينتظر وضوح موقف الداعم الآخر –تركيا– حتى يبني عليه.

وفتح الخلاف القطري السعودي أبواب جهنم على الخريطة السورية في المناطق التي تسيطر عليها الميليشيات المسلحة نتيجة اختلاف ولاءات الميليشيات وتبعيتها للجهات الممولة بين الدوحة والرياض، وإن كان هذا الخلاف شهد انطلاقة واضحة في غوطة دمشق الشرقية تجددت مرتين خلال عامين ولا تزال رحاها مستمرة إلى اليوم.

وإذا كانت الميليشيات المسلحة متعددة المشارب والأفرع إلا أن ثمة قوى أساسية تقودها أبرزها جبهة النصرة وحركة أحرار الشام الإسلامية المدعومتان قطرياً مقابل جيش الإسلام المدعوم سعودياً دون إغفال أن النصرة فرع من تنظيم القاعدة الإرهابي الممول أساساً من السعودية، وأن أغلبية الميليشيات الإخوانية ممولة قطرياً إذ وصل عدد الميليشيات في إحدى مراحل الأزمة السورية إلى نحو ١٠٠٠ ميليشيا.

توتر العلاقات بين دول الخليج كشف حقيقة من يدعم الإرهاب في سورية

العكام: أميركا تريد تعويم المشروع الوهابي بعد سقوط الإخواني

الوطن

اعتبر عضو مجلس الشعب محمد خير العكام، أن التوتر في العلاقات بين دول الخليج وقطر كشف حقيقة أن من يدعم الإرهاب في سورية هي الأموال الخليجية والفكر الوهابي السعودي. ورأى أن الهجوم على قطر يعني إخفاق المشروع الاخواني الذي كانت تدعمه الدوحة في المنطقة، معربا عن اعتقاده بأن الولايات المتحدة اليوم تريد للمشروع الوهابي السعودي الذي يعتبر أسوأ من المشروع الإخواني أن يأخذ «مدا أكبر بعناوين جديدة».

وفي تصريح لـ«الوطن»، قال العكام: «ما يجري من خلافات يؤكد صوابية الموقف السوري. هذه الخلافات بدأت تكشف حقيقة من يدعم الإرهاب في سورية». وأضاف: «الآن هناك اتهامات قطرية للسعودية وسعودية لقطر بدعم الإرهاب في سورية. هذا الأمر يؤكد ما كنا نقوله بأن الأموال الخليجية والفتنة والفكر الوهابي هو الذي دعم الإرهاب في سورية». وأوضح العكام، «من حيث المبدأ أن كعربي لا أتمنى أن يكون المشهد العربي على هذا النحو، وهذه الخلافات التي طفت على السطح تؤكد غياب الجامعة العربية، الأمر الذي كانت أكدت عليه سورية وسابقا وقالت إن هذه الجامعة من دون سورية ليست جامعة».

وأعرب العكام عن اعتقاده، بأن الهجوم الذي شنته أول من أمس دول خليجية وغير خليجية على قطر سببه ليس موقف الدول العربية منها بل اعتقد أن القضية اكبر من ذلك بكثير. وأضاف: «هذا لا يعني أن قطر كانت دولة داعمة للقضايا العربية، لكن اعتقد أن هذا الهجوم ممنهج ومنسق مع دول غير عربية»، وتابع: «اليوم المشروع الإخواني سقط والذي يرعى هذا المشروع ويدعمه عربيا كان قطر فكان لابد أن يجري ما جرى، ولذلك رأينا كيف سارع الشقيق الإخواني «الرئيس التركي رجب طيب» أردوغان وأعلن أنه يمكن أن يقوم بوساطة بين هذه الدول ما يؤكد إخفاق المشروع الإخواني».

عضو مجلس الشعب محمد خير العكام (عن الإنترنت)

ولفت العكام إلى أن «فشل المشروع الإخواني لا يعني أن المشروع الوهابي أفضل منه بل هو أسوء منه، ولكن اعتقد أن الولايات المتحدة اليوم تريد لهذا المشروع الوهابي أن يأخذ مدا أكبر بعناوين جديدة». وردا على سؤال بأن هذه التوتر في العلاقات بين الدول الخليجية وقطر جاء بعد زيارة ترامب للسعودية مؤخرا، قال العكام «الولايات المتحدة تريد أن تبتز قطر كما ابتزت السعودية سابقا والمستقبل سوف يكشف ذلك. السياسة الأميركية الجديدة هي ابتزاز الجميع. ترامب ابتز السعودية وابتز الاتحاد الأوروبي والآن يريد أن يبتز قطر وهذا يكشف أن لديه سياسة ابتزازية تستخدمها إدارته».

وردا على سؤال حول كيفية انعكاس هذا التوتر في العلاقات بين دول الخليج وقطر على الحرب التي تشن على سورية، قال العكام: «الحرب على سورية تستخدم فيها كيانات إرهابية.. هؤلاء الوكلاء الإرهابيون الذين كانت تمولهم قطر نتمنى عليها لا بل نطالبها بأن توقف دعم الكيانات الإرهابية التي مازالت تمولها على الأرض السورية وهذا الأمر سيقصر عمر الإرهاب الممارس في سورية». وأضاف «سياسة الابتزاز الأميركية يبدو أنها انطلت على السعودية. السعودية عليها ألا تفرح كثيراً بهذه الإدارة «إدارة ترامب» ولا بهذه الممارسات، فالأمر سينعكس عليها بشكل سلبي.. هي ليست سوى دولة تابعة تنفذ السياسات الأميركية وسياسات الكيان الصهيوني».

على خلفية الخلاف السعودي القطري

ميليشيات إدلب تتأهب لجولة جديدة من الاقتتال

إدلب - الوطن

ساد القلق مناطق نفوذ الميليشيات المسلحة التي استنفرت مسلحيها للدرجة القصوى تحسباً لجولة جديدة من الاقتتال بينها بحسب ولائها وتمويلها للسعودية أو قطر على خلفية الخلاف المتصاعد بين الدولتين.

وأفادت مصادر أهلية وأخرى معارضة محسوبة على الميليشيات في إدلب لـ«الوطن»، بأن الإجازات للمسلحين أوقفت وتمت دعوة الجميع للالتحاق بمواقع «رباطهم» و«سد الثغور» التي تفصل المناطق التي من الممكن أن تشهد اشتباكات ومعارك بين الفريقين المتصارعين وهما «جبهة النصرة» التي تعتبر أبرز مكونات «هيئة تحرير الشام» من جهة وميليشيات «حركة أحرار الشام الإسلامية» التي تحالفت معها ٧ ميليشيات مطلع العام الجاري بعد معارك طاحنة بين الجانبين.

وقالت المصادر: إن مدن إدلب سلقين وحارم وكفر تخاريم وسرمين وبنش وأريحا وجسر الشغور ومعرة النعمان وبلدتي الدانا وسرمدا وقريتي أطمة وخربة الجوز الحدوديتين شهدت استقدام تعزيزات للميليشيات خشية تجدد إطلاق النار بين الميليشيات المتصارعة بضوء أو من دون ضوء من الدول الدول الداعمة لها والمتناحرة راهناً وبغفلة عن تركيا التي ستضطر إلى النزول في مستنقع الحرب المقبلة المتوقعة.

وتوقعت المصادر اتساع حدة حرب التصفيات المعلنة وسارية المفعول بين فريقي الدوحة والرياض وأن تنجر أنقرة إلى لاعبي الأولى لدعمها الحركات القاعدية على الرغم من محسوبية بعض الميليشيات الوازنة على الأرض مثل «أحرار الشام» الإخوانية عليها، ما سيؤثر بشكل كبير في الدعم الذي تتلقاه وعلى قوتها ونفوذها مقابل «النصرة» وحلفائها في «تحرير الشام» التي تدعمها وتمولها الدوحة مقابل تمويل الرياض لميليشيات سلفية.

ونقلت المصادر عن قيادات ميدانية في ميليشيا «الجيش الحر» لـ«الوطن»، «خشيتها من أن يفتح الصراع السعودي القطري المحتدم أبواب جهنم على مصراعيها بين ميليشيات إدلب لتغيير خريطة السيطرة فيها بعدما تسبب الخلاف البادي حالياً بصب الزيت على نار الميليشيات المشتعلة قبلاً، الأمر الذي سيرغم الميليشيات على نقل بندقيتها من كتف لآخر بموجب الدعم المالي المقدم في المرحلة المقبلة وبحسب النفوذ ومصالح الدول الأخرى المتنفذة وفي مقدمتها تركيا والولايات المتحدة التي عكفت وكالة استخباراتها «سي آي إيه» على إعداد دراسة لتمويل ودعم ميليشيات تصنفها على أنها «معتدلة» من جديد إلا أن الخلاف والاحتراب المتوقع قريباً سينسف المشروع الأميركي برمته في المنطقة، وفق قول المصادر.

المحور السعودي يحاول ضبط المنطقة بالهيمنة على قطر.. والتالي تركيا

أنس وهيب الكردي

هز المحور السعودي المنطقة بعنف مع قراره تصعيد المواجهة مع قطر إلى أقصى مدى. وتبدي الرياض، ومعها حلفاؤها، إصراراً، ليس على تعديل سياسات الدوحة الخارجية وضبط دورها الإقليمي، بل إحداث هيكلة جديدة للسياسات في المنطقة وفقاً للتوجهات السعودية.

ليس مهماً أن الأزمة قد قامت على أسس غير قوية مثل الرد على تصريحات لأمير قطر تميم بن حمد آل ثاني، اتضح أنها مفبركة وأن تحقيقاً لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي بصدد تأكيد ذلك، فإعادة هيكلة النفوذ والسياسات في المنطقة، لن تتوقف عند قطر أو إيران، بل هي ستمتد على الأرجح إلى تركيا.

تستشعر أنقرة حساسية اللحظة الراهنة، لذلك اندفع المسؤولون الأتراك في إجراء مشاورات متعددة، محاولين تقديم أنفسهم كوسطاء لحل الأزمة القطرية، اتصالاتهم عكست قلقهم من رياح قد تلفح السياسة التركية مصدرها المحور السعودي الذي يخبئ في جعبته خططاً لتركيا، لن تكون أقل مما جرى استخدامه مع قطر. مع ذلك لا يخفي الأتراك انحيازهم للدوحة، فرئيس الوزراء التركي بن علي يلدريم شدد على «ضرورة ألا تتضرر العلاقات بين الدول بسبب أخبار لا أساس لها وأكد أن بلاده لا يمكنها أن «تدير ظهرها للمنطقة وتبقى في موقع المتفرج»، آخذاً على دول المحور السعودي إشعال أزمة في الخليج قبل أن «تنتهي الأزمات في كل من العراق، سورية، اليمن، ليبيا». أما سفير تركيا لدى قطر فكرت أوزر فقد كان أكثر وضوحاً، عندما اعتبر أن «قطر معرضة للهجمات، وهو نفس الحال بالنسبة لتركيا التي تتعرض للهجوم والمؤامرات»، ذاكراً بالاسم الإمارات. وفي تعليق غير مباشر على الإشاعات التي انتشرت في المنطقة حول قرب حدوث انقلاب عسكري في الدوحة مدعوم من المحور السعودي، طالب أوزر الشعب القطري بتوحيد صفوفه داخلياً وخارجياً تجاه تلك الأزمة حتى تمر طرية وألا تفت في عضده، وأكد أن محاولات فرض الوصاية على الدوحة، «لن تنجح». واللافت أن الجزائر رفضت التعدي على السيادة القطرية.

وتجد تركيا نفسها أمام خيارات صعبة فيما يتعلق بالأزمة القطرية، فالتحرك عسكرياً صعب والبقاء على كراسي المتفرجين لا يناسب شخصية أردوغان وقد يؤدي إلى تقرير مصير الأزمة من دون أخذ المصالح التركية بعين الاعتبار، أمام هذا الواقع وجدت أنقرة أن لا سبيل أمامها سوى تحشيد الضغوط الجماعية على المحور السعودي لمنعه من حسم الأزمة القطرية لمصلحته.

ولأن قوام الجيش التركي مشغول بقتال مسلحي حزب العمال الكردستاني في جنوب تركيا، ومحتشد على الحدود السورية التركية لمراقبة تحركات وحدات حماية الشعب الكردية المدعومين أميركياً، ومع تصاعد التوتر التركي الأميركي نتيجة استبعاد أنقرة عن عملية الرقة، فلن تجد تركيا أمامها سوى تعزيز محور الأستانا الذي يجمعها بإيران وروسيا.

وأهم اتصال أجراه الأتراك هو مع نظرائهم الإيرانيين، والذي شهد اتفاق الجانبين على عقد لقاء ثلاثي تركي إيران عراقي في العاصمة العراقية بغداد، لمناقشة سبل حل الأزمة القطرية. وبحسب مسؤولين إيرانيين فإن من شأن الاجتماع توجيه دعوة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي. وبالفعل لوح أردوغان خلال اتصالاته مع الزعماء الخليجيين إلى إمكانية العودة إلى المنظمة التي لعبت الرياض الدور الأكبر في تأسيسها، وإذا ما سارت تركيا في هذا السيناريو فإنها ستضع نفسها في مسار تصادمي مع المحور السعودي، وفي محاولة منها لقطع هذا الطريق، دفعت السعودية الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي إلى إصدار بيان من الأزمة القطرية شبيه بالموقف السعودي.

وتشعر كل من تركيا، إيران والعراق بقلق جوهري من تداعيات الأزمة القطرية، الأولى لأن لها تحالفاً صلباً مع القطريين وقاعدة عسكرية على أراضيهم، والثانية لأنها تخشى تحول الجانب الآخر من الخليج إلى العداء الكامل مع طهران، والأخيرة، خوفاً من انعكاسات ازدياد قوة المحور السعودي على بنية العراق الوطنية بالأخص في مرحلة ما بعد داعش، وعين بغداد «وكذلك الأمر بالنسبة لطهران» على الدعم الخليجي لنوايا إقليم كردستان العراق الاستقلال كثمن لدوره في الحرب على التنظيم المتطرف. مع ذلك فقد تحقق إيران مكاسب أكبر من استمرار الأزمة وعلى رأسها انهيار الجبهة العربية الإسلامية التي سعى الرئيس الأميركي دونالد ترامب خلال زيارته إلى المنطقة، ضدها قبل أن تقلع.

من زيارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى الرياض ولقائه بالملك السعودي (عن الإنترنت)

دولياً، وإن كانت المؤسسة في الولايات المتحدة غير مؤيدة على الإطلاق لخطوة عزل قطر ومحاصرتها خصوصاً في ظل اشتداد حملة التحالف الدولي بقيادة واشنطن، على داعش، والتي تتم إدارتها من القيادة الوسطى للقوات الأميركية المتمركزة في قاعدة العديد بقطر، فإن ترامب ووزير خارجيته ريكس تيلرسون بديا متفهمين لمواقف المحور السعودي.

وشعر مسؤولو الإدارة الأميركية بالصدمة لقرار السعودية قطع العلاقات الدبلوماسية مع قطر في خطوة منسقة مع مصر والبحرين والإمارات، وأكد مسؤول كبير بإدارة ترامب أن بلاده «لا تريد أن نرى شكلاً من أشكال الشقاق الدائم وأظن أننا لن نرى هذا».

ولم تهيمن الأزمة القطرية على التفاعلات الدولية والإقليمية في الشرق الأوسط من فراغ، فلقطر أهمية كبرى على مستويات متعددة، فهي مسرح للحوار بين واشنطن وحركة طالبان الأفغانية، وسياستها الخارجية مستقلة تسعى لدور توازني في الخليج ما بين السعودية وإيران، وعلى أراضيها أكبر قاعدة أميركية في العالم خارج الولايات المتحدة وثاني قاعدة عسكرية تركية في الخارج بعد قبرص التركية وقبل منطقة شمال حلب، وصندوقها السيادي يتحكم بأكثر من ٣٢٥ مليار دولار، وأخيراً، وربما أشدها أهمية هي ثالث بلد من حيث احتياط الغاز وإنتاج الغاز في العالم، والأول من حيث إنتاج الغاز المسال.

كما أن روسيا، التي أبدت تفهماً لحجج الرياض والقاهرة ضد الدوحة الخاصة بدعم الإرهاب، تعارض أي محاولة سعودية لتوسيع نفوذها في الخليج إلى قطر، كي تضمن بقاء الوضع الجيوسياسي العالمي المرتبط بالطاقة على حاله، ولا شك أن أي قوى دولية، لا تريد أن تضاف موارد الغاز القطرية الضخمة إلى أدوات السياسة السعودية الخارجية.

وتمثل السيطرة على السياسة القطرية مطمحاً كبيراً للسعودية منذ الانقلاب الأبيض الذي قاده الشيخ حمد بن خليفة على والده أواسط التسعينيات من القرن، والذي أتبعه بإطلاق مشروع متكامل للصعود بمكانة قطر الإقليمية، متوخياً أدوات القوة الناعمة، وبينها قناة «الجزيرة». هكذا، تحولت قطر من إمارة على هامش الحركة السياسية العربية، إلى وسيط إقليمي له حضور في كل الأزمات المعقدة (اللبنانية – السودانية)، لتغدو خلال السنوات الأولى للربيع العربي من أبرز اللاعبين الإقليميين وتتخلى عن دور الوسيط لمصلحة دور «الملهم للثورات والمواجه للأنظمة». ووطدت تحالفها مع تركيا والحركة الإسلامية في المنطقة.

مع إخفاق موجة الربيع العربي وتغيير الحكم في مصر، تحول المشهد ضد قطر، وسعت دول المحور السعودي «عام ٢٠١٤» إلى معاقبتها قطر على دورها السابق، ولم يوقفها شيء، إلا شعورها بالخوف من تزايد نفوذ إيران في الشرق الأوسط نتيجة سياسة الانفتاح التي انتهجها الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما على طهران وسعيه لإنهاء أزمة ملفها النووي، هكذا انتهت الأزمة القطرية الأولى باتفاق توسطت فيه الكويت.

وسعت الكويت إلى تجديد وساطتها، ووصل أميرها صباح الأحمد الصباح إلى الرياض في مسعى لإقناع الملك السعودي سلمان بن عبد العزيز، لكن المؤشرات تؤكد أن مهمته ستكون صعبة إن لم تكن مستحيلة، مع تبادل السعوديين والقطريين التلويح لبعضهما بالتلاعب بداخل كل منهم.

وبدا أمير قطر مصمماً على المواجهة وعدم التنازل عن العلاقة مع تنظيم الإخوان المسلمين، وعبر عن ذلك من خلال استقباله الشيخ يوسف القرضاوي، وتقبيل رأسه. في المقابل، اتهمت وزارة الخارجية السعودية في فيديو نشرته على صفحته بموقع «تويتر» للتراسل، قطر بدعم الحوثيين. وجاء في الفيديو: «حاربنا الإرهاب والانقلاب في اليمن من أجل اليمنيين وكانت السلطات في الدوحة مع إيران وعملائها»، واختتم بمقطع للشيخ تميم في الأمم المتحدة، جاء فيه: نؤكد أن إيران دولة جارة مهمة».

كما اتهمت الوزارة الدوحة بـ«احتضان جماعات إرهابية وطائفية متعددة تستهدف ضرب الاستقرار في المنطقة، ومنها جماعة الإخوان المسلمين وداعش والقاعدة».

وأثارت الدوحة غضب الرياض بعد توسطها في اتفاق المدن الأربع في سورية، واعتبرت صحيفة فايننشال تايمز أن توصل الدوحة إلى الاتفاق هو ما أثار غضب السعوديين، وفشلت كل مساعي قطر لشرح الاتفاق للسعودية.

وإذا ما تطورت الأزمة القطرية فمن الممكن أن تؤدي إلى صدام تركي سعودي، وإعادة اصطفاف شاملة في المنطقة.